رسالة الامام

عبـــد العزيز الاول

١١٣٣ ـ ١٢١٨

رحمــــه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد فقد كانت هذه المؤسسة قامت بطبع هذه الرسالة منذ سنوات ، ولما لها من الأهمية فقد رأينا إعادة طبعها حيث قد أوشكت الطبعة الثانية على النفاد .

وقد ذكرت في مقدمة الطبعة الثانية ان هذه الرسالة فيها الدعوة الى الله بالحكمة . وقرع الحجة بالحجة ، مما يروق لكل هادف الى الحق.

وذكرت أن هذه الرسالة وأمثالها ، يجب أن يوسع نشرها باللغة العربية وغيرها من اللغات الحية. قياما ببعض الواجب نحو هذا العالم الحائر لعدم من يهديه الى سبيل مولاه .

وخروجا من تبعة كتمان العلم الذي توعد الله عليه بقوله تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون).

وذكرت أن هذا واجب سكان هذه الجــزيرة التى اضاءت منها مشاعل الهداية للعالم اجمع ، لما لهم من الزعامة الدينية .

افيليق بهم ترك هذه الزعامة . التى خصهم الله بها ؟

هذا لايرضى به العقـــل . ولا يجيزه الشرع .

اذاً فالعمل متحتم . وليس لنا عذر في التقاعس عن الارشاد . وإفساح المجال لأئمة الضلال .

والمسؤلية ملقاة على عـواتق أصحاب المقدرات السلطانيــة والمواهب الفكرية ، يقول الله تعالى .

(وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)

وبقدر ماتمسكنا بديننا عملا ودعوة سنحصل على الذكــر الجميل وشرف السمعة ، يقول الله تعالى .

(لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون)

حقاً والله ماأعظم الواجب ، وما أفدح المصيبة في الاهمال.

على الحمد الصالحي

نبـــذة وجـــيزة

عن حياة الامام عبد العزيز الاول

هو الامام عبد العزيز بن الامام محمـد بن سعود رحمه الله ولد ١١٣٣ هـ في بلد الدرعية، وتوفي ١٢١٨هـ شهيدا وهو يصلي في المسجد صلاة العصر قتله رافضي .

اخذ العلم عن الشيخ (محمد بن عبد الوهاب وغيره)وتحلى بالعلم والعمل والفضيلة، ولي الخلافة بعد أبيه،وكان خير خليفة لوالده وخير عضد لإمام الدعوة (محمد بن عبد الوهاب) .

وكان داعياً الى الله بالقول والعمل والسلطان،وكان مثالا في الخوف من الله ؛ والذكر له،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لاتأخذه في الله لومة لائم ، وفضـائله كثيرة ، وتأريخه حافل بشتى المآثر فمن اراد الوقوف عليها فليطلع على الدرر السنية (الجزء الثاني عشر)

ومما ينبغي ان يعلم ان هذا الامام هـو ووالده هما المؤسسان (للدولة السعودية) وعلى الاصح (الدولة السلفية) فكان لشعوره بالمسؤلية يهمه رحمه الله إرشاد الناس في داخل دولته وخارجهـا فلذا كتب هذه الرسالة العامة : التي تنبض بروح الاخـــلاص وحب الخير للناس أجمعين .

وليس هذا الاحساس بغريب ممن تعلم في أحضان إمامين كبيرين.
اولهما والده (محمد بن سعود) الذي ربى جسمه وروحه وثانيهما شيخ الاسلام (محمد بن عبد الوهاب) الذي ربى روحه
شعر هذا الامام أن حاجة الناس الى التمسك بالعقيدة والدين أحوج من حاجتهم الى الطعام والشراب ، فغذاهم بالعقيدة والدعوة ، حرصا منه على القيام بالواجب من النصيحة الواجبة في رعاية الخلق، وعلما منه انه مسؤل عن صلاحهم وفسادهم امام الله الذي مكن له من رقابهم، وعلما منه ايضاً ان الولاية القصد منها المحافظة على رضاء الله ، ومنع الفوضى في حقه وفي حقوق عباده.
ولعلمه ايضاً ان الناس كلما تمسكوا بدينهم قويت رابطتهم بقائدهم وامامهم، فاذا ضعفت منهم الديانة اصبحوا عباد مادة، وانحلت منهم الاخلاق والفضائل ، وصاروا لا يلوون على شيء اذ لا رابط لهم من دينهم .
ولعلمه ايضاً بأن (الملك بالدين يبقى ويقوى) وصدق الله العظيم حيث يقول (والعاقبة للتقوى) فرحمه الله رحمة واسعة ، انه جواد كريم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

على الحمد الصالحي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين ، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

من عبد العزيز بن محمد بن سعود

الى من يراه من العلماء ، والقضاة ، في الحرمين ، والشام ، ومصر ، والعراق ، وسائر علما المشرق ، والمغرب .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد ، فان الله عز وجل شأنه ، وتعالى سلطانه لم يخلق الخلق عبثاً ، ولا تركهم سدى ، وانما خلقهم لعبادته ، فأمرهم بطاعته وحذرهم مخالفته ، وأخبرهم تعالى أن الجزاء واقـع لامحـالة ، اما في ناره بعدله ، أو في جنته بفضله ورحمته ، قد أخبر عز وجل بذلك في كل كتاب أنزله ، وعلى لسان كل رسول أرسله ، كما نطقت بذلك الآيات القرآنية ، وأخبرتنا به الاحاديث النبوية .

قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)

وقال (واعبــدوا الله ولا تشركو به شيئاً)

وقال سبحانه (وقضى ربك الا تعبدوا إلا اياه)

فالعبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه؛ من الاقوال، والافعال، مختصة بجلالته وعظمته، فهي الغاية المحبوبة له والمرضية عنده، وبها أرسل جميع الرسل، كما قال نوح لقومه (اعبدوا الله مالــكم من اله غيره) وكذلك قال هود ، وصالح ، وشعيب ، وغيرهم من الرسل كل قال لقومه (اعبدوا الله مالكم من اله غيره)

وذلك أن الإله يطلق على كل معبود بحق أو بباطل ،

والإله الحق هو الله . قال تعالي « فاعلم أنــه لا اله الا الله »

وقال تعالى « ولقد بعثنا في كل أمــة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »

وقال تعالى « ومارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون » .

فصـــل

فنحن لما علمنا وفهمنا من كلام الله وسنة رسوله وكلام الأئمة الاعلام رضي الله عنهم كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي ، وأحمد وغيرهم من ائمة السلف .

أن (لا اله الا الله) معناها ترك كل معبود سوى الله واخلاص الإلهية له تعالى وحده .

وأن توحيد العبادة هو افراد العباد ربهم بأفعالهم التي أمرهم بها في كتابه، وعلى لسان رسوله، فاذا جعلت لغيره تعالى صار ذلك تأليهاً للغير مع الله. وان لم يعتقد الفاعل ذلك. فالمشرك مشرك شاء ام ابى

وليس التوحيد خاصاً بافراد الله بأفعاله تعالى وتقدس، كخلقه السموات والارض والليل والنهــار ، ورزق العبـاد وتدبـيره أمورهم ، لأن هذا قد اقر به المشركون ولم يدخلهم في الاسلام، ويسمى توحيد الربوبية .

((العبادة لغة وشرعـــاً))

معناها: لغة الذل والخضوع

وشرعاً: ماأمر به من غير اطراد عرفي ؛ ولا اقتضاء عقلي من افعال العباد واقولهم المختصة بجلال الله وعظمته، كدعائه تعالى بما لا يقدر عليه الا هو من جلب نفع أو دفع ضر أو رجائه فيـه والتـوكل عليـه ، وذبح النسك والنـذر والانابـة والخضوع كل ذلك مختص بجلال الله كالسجود والتسبيح والتهليل ، فكل ذلك مما قدمناه هو معنى قول « لا اله الا الله » .

ولا يغني أحد التوحيدين عن الآخر، بل صحة أحدهما مرتبطة بوجود الآخر .

لما فهمنا ذلك وعملنا به قام علينا أهل الاهواء فخرجونا وبدعونا؛ وجعلوا اليهود والنصارى أخف منا شراً ومن اتباعنا ؛ ولم ننازع المخالف في سائر المعاصي بأنواعها ولا المسائل الاجتهادية، ولم يجر الاختلاف بينـنـا وبينهم في ذلك ، بل في العبـادة بأنواعهـا ، والشرك بأنواعه .

فصـــل

فنحن نقول ليس للخلق من دون الله ولي ولا نصير . وجميع الشفعاء سيدهم وأفضلهم محمد ﷺ فمن دونه ـ لايشفعون لاحد الا باذنه (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) (ولا يشفعون الالمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) (قل لله الشفاعة جميعاً)
(وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً) الاية .

واذا كان كذلك فحقيقة الشفاعة كلها الله ، ولا تسأل في هذه الدار الا منه سبحانه وتعالى .

فجميع الانبياء والأولياء لايجعلون وسائل ولاوسائط بين الله وبين الخلق لجلب الخير أودفع الشر ، ولا يجعل لهم من حقه شيء ، لان حقه تعالى وتقدس غير جنس حقهم .

فان حقه عبادته بأنواعها بما شرع في كتابه ، وعلى لسان رسوله وحق أنبيائه عليهم السلام الايمان بهم ، وبما جاؤا به ، وموالاتهم ، وتوقيرهم ، واتباع النور الذي أنزل معهم ، وتقديم محبتهم على النفس والمال والبنين والناس أجمعين .

وعلامة الصدق في ذلك اتباع هديهم ، والايمان بما جاؤا به من عند ربهم ، قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

والايمـــان بمعجزاتهـم ، وأنهـم بلغوا رسالات ربهـــم ، وأدوا الأمانة ، ونصحوا الأمة ، وأن محمداً ﷺ خاتمهم وأفضلهم، واثبات شفاعتهم التي أثبتها الله في كتابه ، وهي من بعد إذنه لمن رضي عنه من أهل التوحيد .

وأما المقام المحمود الذي ذكر الله في كتـــابه وعظم شأنه فهو لنبينا محمد ﷺ

وكذلك حق أوليائه محبتهم ، والترضي عنهم ، والايمـــان بكراماتهم ، لادعاؤهم ليجلبوا لمن دعاهم خيراً لايقدر على جلبه الا الله تعالى ، أو ليدفعوا عنهم سوءاً لايقدر على دفعه الا هـــو عز وجل ، فان ذلك عبادة مختصة بجلاله تعالى وتقدس .

هذا اذا تحققت الولاية أو رجيت لشخص معين كظهور اتباع سنة ، وعمل بتقوى في جميع أحواله ، والا فقد صار الولى في هذا الزمان من أطال سبحته ، ووسع كمه ، وأسبل ازاره ، ومد يده للتقبيل ، ولبس شكلا مخصوصاً ، وجمع الطبول والبيارق، وأكل أموال عباد الله ظلماً وادعاءاً، ورغب عن سنة المصطفى وأحكام شرعه.

فصل

فنحن انما ندعو الى العمل بالقرآن العظيم ، والذكر الحكيم ، الذي فيه الكفاية لمن اعتبر وتدبر، وبعين بصيرته نظر وفكر، فانه حجة الله وعهده، ووعده ووعيده، فمن اتبعه عاملا بما فيه جد جده؛ وبان سعده، ومن خالفه واتبع هواه فقد ضل ضلالا مبينا .

والتوحيد ليس هو محل الاجتهاد ، فلا تقليد فيه ولا عناد .

ولا نكفر الا من انكر أمرنا هذا ونهينا، فلم يعمل بما انزل الله من التوحيد ، بل عمل بضده الذي هو الشرك الأكبر، والذنب الذي لايغفر، كما سنذكر انواعه، وجعله دينا، وسماه وسيلة عنادآ وبغياً، ووالى أهله وظاهرهم علينا ، ولم يقوم اركان الدين وامتنع من قبول دعوتنا، وأمر بقتالنا وارجاعنا عن دين الله الحق الى ماهم عليه من الشرك، والعمل بسائر مالا يرضي رب العباد، ويأبي الله إلا ان يتم نوره ولو كره المشركون .

وما حجتهم علينا الا ان المدعو يكون شفيعا ووسيلة .

ونحن نقول إن هؤلاء الداعين الهاتفين بذكر الاموات والاحياء الغائبين يطلبون كشف شدتهم، وتفريج كربتهم وابراء مريضهم، ومعافات سقيمهم، ولكثير رزقهم، وايجاده من العدم، ونصرهم على عدوهم براً وبحراً، ولم يكفهم الاقتصار على مسألة الشفاعة والوسيلة،

وحقيقة قولنا أن الشفاعة وان كانت حقاً في الآخرة ، فلها أنواع مذكورة في محلها ،

ويجب على كل مسلم الايمان بشفاعته ﷺ بل وغيره من الشفعاء، فهي ثابتة بالوصف لا بالشخص ، ماعدى الشفاعة العظمى فانها لاهل الموقف عامة وليس منها مايقصدون .

فالوصف من مات لا يشرك بالله شيئاً ،

كما في البخاري من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « لكل نبي دعوة مستجابة، واني خبأت دعوتي شفاعة لامتي ، وهي نائلة منكم ان شاء الله من مات لايشرك بالله شيئاً »

وحديث أنس بن مالك الذي في الشفاعة بطوله .

وحديث الذراع الذي رواه أبو هريرة المتفق عليه .

وإذا كانت بالوصف فرجاؤه أن يشفع فيه نبيه هو المطلوب.

فصــل

فالمتعين على كل مسلم صرف همته وعزائم أمره الى ربه تبارك وتعالى ، بالاقبال اليه، والاتكال عليه ، والقيام بحق العبودية لله عز وجل، فاذا مات موحداً شفع الله فيه نبيه ،

بخلاف من أهمل ذلك وتركه؛ وارتكب ضده من الاقبال الى غيرالله بالتوكل عليه، ورجائه فيما لا يمكن وجوده الا من عندالله ، والالتجاء الى ذلك الغير، مقبلا على شفاعته متوكلا عليها؛ طالباً لها من النبي ﷺ أو غيره ، راغباً اليه فيها، تاركا ماهو المطلوب المتعين عليه، من اخلاص العبادة لله وطلب الشفاعة منه؛ فهذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم، ولم تنشأ فتنة في الوجود الا بهذا الاعتقاد.

ولهذا حسم جل وعلا مادة الشفاعة عن كل أحد بغير اذنه وحده، فلا يشفع أحد عنده الا باذنه، لا ملك، ولا نبي، ولا غيرهما، لأن من شفع عند غيره بغير اذنه فهو شريك له في حصول ذلك المطلوب لتأثيره فيه بشفاعته، ولاسيما ان كانت من غير اذنه. فجعله يفعل ماطلب منه؛ والله تعالى لا شريك له بوجه من الوجوه، وكل من أعان غيره على أمر فقد شفعه فيه، والله تعالى وتر لا يشفعه أحد بوجه من الوجوه، ولهذا قال عز من قائل (قل لله الشفاعة جميعاً)

وقال (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون)

فمن طلبها من غير الله، فقد زعم انها مشروعة بغير اذن الله ورضاه عن المشفوع له .

والله يقول (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون)

وقال تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون)

والعبرة في النصوص بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مع ملاحظته وعدم الاقتصار عليه :

فصل

وأما دعاء الله عز وجل للغير؛ فقد مضت السنة أن الحي يطلب منه سائر مايقدر عليه .

ودعوة المسلمين بعضهم لبعض مستحبة، قد وردت بها الآثار الصحيحة في مسلم وغيره، فان كانت للميت فهي آكد .

وكان النبي ﷺ يقف على القبر بعد الدفن فيقول (استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسأل)

فالميت أحوج بعد الدفن إلى الدعاء، فاذا قام المسلمون على جنازته دعوا الله له ، وشفعوا له بالصلاة عليه دون ان يدعوه .

فبدل أهل الشرك والبدع الدعاء له بدعائه، والاستغاثة بـه والهتف باسمه عند حلول الشدة . وتركوا من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه .

كما بدلوا الزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ إحسانا الى الميت ؛ وتذكيراً بالآخرة ، بسؤال الميت نفسه وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة ؛ وحضور القلب وخشوعه عندها ؛ أعظم منه في الصلاة والمساجد .

واذا كان الدعاء مشرعاً لسائر المؤمنين ، فالنبي ﷺ أحق الناس بأن يصلى ويسلم عليه ويدعى له بالوسيلة ،

كما في الحديث الصحيح عنه ﷺ انه قال (اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله، وأرجوا أن أكون ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة)

واستشفاع العبد في الدنيا انما هو فعل السبب لحصول شفاعته له يوم القيامة طبق ماجاء به قولا واعتقاداً .

وانما سئلت له الوسيلة مع تحققها تنويها بقدره، ورفعا لذكره، ويعود ثواب ذلك الينا . فهذا هو الدعاء المأثور ، وهو فارق بين الدعاء الذي أحبه والذي نهى عنه .

ولم يذكر أحد من الأئمة الأربعة ولا غيرهم من ائمة السلف فيما نعلمه أن النبي ﷺ يسئل بعد الموت الاستغفار ولا غيره .

قال الامام مالك رحمه الله فيما ذكره اسماعيل بن اسحق في المبسوط عنه، والقاضي عياض في الشفاء والمشارق، وغيرهما من أصحاب مالك عنه : لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ولكن يسلم ويمضي،

وقال ايضـــا في المبسوط عن مالك لا بأس لمـــن قدم من السفر أو خرج اليه أن يقف عند قبر النبي ﷺ ويصلي ويسلم عليه ويدعو له ، ولأبي بكر ، وعمر ، فقيل له أن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه،وهم يفعلون ذلك في اليوم مرة أو اكثر (١) يأتون عند القبر فيسلمون عليه ويدعون ساعة فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه في بلدنا لا من الصحابة ولا غيرهم ، ولا يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك : يكررون المجيء الى القبر ، بل كانوا يكرهونه الا لمـــن جاء من سفر أو أراده انتهى .

---

(١) في الرد على الاخنائي - ص٢١٨ وسقط منه وروي وقفوا في الجمعة أو الايام المرة أوالمرتين أو اكثر عند القبر فيسلمون عليه. الخ

فصل

وتلاوة الاية في قوله (ولو أنهـم إذ ظلموا أنفسهم) الاية، والاستغفار بحضرة القبر، وان قاله جماعة من متأخرى الفقهاء فهم لم يقولوا يدعى صاحب القبر، بل المحفوظ عنهم أن الميت والغائب لا يسئل منه شيء لا استغفار ولا غيره. واستغفارهم الله لا الرسول ﷺ، وحياته في قبره برزخية لا تقتضي دعائه، وأصحابه أعلم بها منا، ولم يات أحدهم الى القبر فيسأله ويستغيث به.

وقد ثبت النهي عنه عليه الصلاة والسلام ان يتخذ قبره عيداً.

قال ابو يعلى الموصلي في مسنده عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال أحدثكم حديثاً سمعته عن أبي عن جدي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال (لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي فان تسليمكم يبلغني أين كنتم) (١)

رواه ابو عبدالله محمد بن عبد الواحد المقدسي في مختارته (٢)

---

(١) ذكر شيخ الاسلام في الرد على الاخنائي - ص ١٤٤ من طريق ابي يعلى بسنده الى علي ابن الحسين أنه رئى رجلا يجيء الى فرجة عند قبر النبي ﷺ فنهاه، وقال الا احدثكم حديثاً سمعته عن ابي عن جدي عن رسول الله ﷺ فساق الحديث.

(٢) وهي فيما اختاره من الاحاديث الجياد المختارة على ما في الصحيحين، قال شيخ الاسلام. وهـو أعلى مرتبة من تصحيح الحاكم وهو قريب من تصحيح الترمذي وابي حاتم البستي ونحوها.

وروى سعيد بن منصور في السنن عن أبي سعيد مولى المهري قال قال رسول الله ﷺ (لاتتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني) روى هذا الحديث ابو داود عن أبي هريرة . «١»

ورواه سعيد بن منصور في سننه من حديث أبي سعيد مولى المهري

ورواه أيضا من حديث الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه وهذان الحديثان ، وان كانا مرسلين فهما يقويهما حديث أبى هريرة المرفوع في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال (لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، والمسجد الاقصى، ومسجدي هذا) وهو حديث ثابت باتفاق أهل العلم يتلقى بالقبول عنهم ، وهو ان كان معناه لاتشدوا الرحال الى مسجد من المساجد الا الى الثلاثة التي قد ذكرت، فالسفر الى هذه المساجد الثلاثة انما هو للصلاة فيها والدعاء والذكر، وقراءة القرآن، والاعتكاف الذي هو من الاعمال الصالحة

---

(١) روي نحوه: فقد روى من حديث عبد الله بن نافع أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن ابي هريرة قال رسول الله ﷺ لاتجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيدا . وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني، نص على هذا صاحب الرد على الاخنائي=

وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر اليه باتفاق أهل العلم ، حتى مسجد قباء يستحب قصده من المكان القريب كالمدينة، ولا يشرع شد الرحل اليه من بعيد ؛ ولذلك كان النبي ﷺ يأتي اليه كل سبت ماشيا وراكبا، وكان ابن عمر يفعله كما في الصحيح .

وكما انه أسس على التقوى، فمسجده ﷺ أعظم في تأسيسه على التقوى، كما ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه سئل عن المسجد الذي اسس على التقوى فقال (مسجدي هذا) فكلا المسجدين أسس على التقوى، ولكن اختص مسجده بأنه أكمل في هذا الوصف من غيره، فكان يقوم في مسجده يوم الجمعة ، ويأتي لمسجد قبـــاء يوم السبت .

واذا كان السفر الى مسجد غير الثلاثة ممنوعا شرعا مع أن قصده لاهل مصره يجب تارة ؛ ويستحب أخرى ، وقـد جاء في قصد المساجد من الفضل مالا يحصى، فالسفر الى مجرد القبور أولى بالمنع.

ولا يغتر بكثرة العادات الفاسدة التي أحدثها الملوك واشباههم؛

= ص ١٤٥ قال هذا حديث حسن رواته ثقات مشاهير لـــكن عبد الله بن الصائغ فيه لين لا يمنع الاحتجاج به . قال يحى ابن معين هو ثقة، وحسبك بابن معين موثقاً، وقال ابو زرعة لا بأس به. وقال ابو حاتم الرازي ليس هو بالحافظ تعرف منه وتنكر .
قال شيخ الاسلام قلت: ومثل هذا يخاف ان يغلط أحياناً؛ فاذا كان لحديثه شواهد علم أنه محفوظ ، وهذا له شواهـد متعـــددة قد بسطت في غير هذا الموضع .

تنبيـــــه

الأحاديث التي رواها الدار قطني في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام؛ كلها مكذوبة موضوعة باتفاق غالب أهل المعرفة، منهم ابن الصلاح، وابن الجوزي، وابن عبد البر، وأبو القاسم السهيلي، وشيخه ابن العربي المالكي والشيخ تقي الدين «١» وغيرهم. ولم يجعلها في درجة الضعيف الا القليل؛ وكذلك تفرد بها الدارقطني عن بقية أهل السنن ؛ والائمة كلهم يرون بخلافه .

وأجل حديث روي في هذا حديث أبي بكر البزار، ومحمد بن عساكر؛ حكاه أهل المعرفة بمصطلح الحديث؛ كالقشيري والشيخ تقي الدين وغيرهما .

وانما رخص ﷺ في زيارة القبور مطلقا بعد ان نهى عنها. كما ثبت في الصحيح، لكن بلا شد رحل وسفر اليها، للاحاديث الواردة في النهي عن ذلك كما تقدم .

---

(١) عبارته في منسكه (كره مالك ان يقول القائل زرت قبر النبي ﷺ وهذا اللفظ لم ينقل عن النبي ﷺ؛ بل الاحاديث المذكورة في هذا الباب؛ مثل قوله من زارني وزار ابي ابراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة . وقوله من زارني بعد =

فصـــــــل

واذا كان السفر المشروع لقصد مسجد النبي ﷺ للصلاة فيه دخلت زيارة القبر تبعاً لأنها غير مقصودة استقلالا ، وحينئذ فالزيارة مشروعة مجمع على استحبابها بشرط عدم فعل محذور عند القبر ، كما تقدم عن مالك .

وما حكاه الغزالي رحمه الله ومن وافقه من متأخري الفقهاء من السفر لأجل زيارة القبر فمرادهم السفر المجرد عن فعل العبادة من الصلاة والدعاء عنده ، بل يصـلي ويسلم عليه ويسأل له الوسيلة ، ثم يسلم على ابي بكر ، ثم عمر (١)

ولا يقصد الصلاة عند القبر للعنه ﷺ المتخذين قبور انبيائهم مساجد ، واللعنة في كلام الله ، وكلام رسوله لا تجامع الا الحرمة ، والاثم لا

=مماتي فكأنما زارني في حياتي ، ومن زارني بعد مماتي حلت عليه شفاعتي ، ونحو ذلك ، كلها أحاديث ضعيفة بل موضوعة ، ليست في شيء من دواوين الاسلام التي يعتمد عليها ، ولا نقلها امام من أئمة المسلمين ، ولا الأئمة الاربعة ولا غيرهم ، ولاكن روى بعضها البزار والدار قطني ونحوهما باسانيد ضعيفة ، وكان من عادة الدار قطني وامثاله يذكرون هذا في السنن وغيره ليبينون ضعف الضعيف من ذلك

(١) وقد أوضح شيخ الاسلام ابن تيمية في كثير من كتبه انه لا مستند لمن أجاز السفر لمجرد زيارة القبر .

مجرد الكراهة ولقوله (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)

قال ابن حجر رحمه الله في (الامداد الموسوم بشرح الارشاد) ينوي الزائر المتقرب السفر الى مسجده ﷺ وشد الرحل اليه؛ لتكون زيارة القبر تابعة ، انتهى .

واتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد هو الموقع لكثير من الأمم، إما في الشرك الاكبر، أو فيما دونه من الشرك الاصغر،

فان النفوس قد اشركت بتماثيل القوم الصالحين ؛ كود ، وسواع، ويغوث، وتماثيل طلاسم الكوكب، ونحو ذلك يزعمون انها تخاطبهم وتشفع لهم .

والشرك بقبر النبي ﷺ أو الرجل المعتقد صلاحه اقرب الى النفوس من الشرك بخشبة أو بحجر .

ولهذا تجد اهل الشرك كثيراً ما يتضرعون ويخشعون عندها مالا يخشعون لله في الصلاة، ويعبدون أصحابها بدعائهم ورجائهم، والاستغاثة بهم، وسؤال النصر على الاعداء، وتكثير الرزق، وايجاده، والعافية، وقضاء الديون، ويبذلون لهم النذور لجلب ما أملوه، او دفع ماخافوه ، مع اتخاذهم اعياداً ؛ والطواف بقبورهم ، وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على تربتها، وغير ذلك من انواع العبادات،

والطلبات التي كان عليها عباد الاوثان يسألون اوثانهم ليشفعوا لهم عند مليكهم. فهؤلاء يسأل كل منهم حاجته وتفريج كربته، ويهتفون عند الشدائد باسمه كما يهتف المضطر بالفرد الصمد، ويعتقدون أن زيارته موجبة للغفران، والنجاة من النيران، وانها تجب ماقبلها من الاثام، بل قد وجد هذا الاعتقاد في الاشجار والغيران، يهتفون باسمها، واسم من ينسبونها اليه من المعتقدين بما لا يقدر عليه الا رب العالمين، واكثر مايكون ذلك عند الشدائد.

فصـــل

والله تعالى عز شأنه، قد فسر هذا الدعاء في مواضع أخر بانه عبادة محضة، كقوله (وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من الله هل ينصرونكم أو ينتصرون)

وقوله (انكم وما تعبدون من دون لله حصب جهنم أنتم لها واردون)

والانبياء والملائكة والصالحون كل معبود من هؤلاء داخل في عموم قوله سبحانه (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون) كما هو سبب النزول ،

وقوله عز شانه (لاأعبد ما تعبدون)

فدعاؤهم آلهتهم هو عبادتهم لها ؛ ولأنهم كانوا اذا جاءتهم الشدائد دعوا الله وحده وتركوها، ومع هذا فهم يسالونها بعض حوائجهم بواسطة قربهم من الله ويطلبونها منهم بشفاعتهم لهم.

فأمر الله العباد باخلاص تلك العبادة له وحده ، فلا يدعونهم ولا يسالونهم الشفاعة؛ فان ذلك دين المشركين .

قال الله تعالى فيهم (قل ادعوا الذي زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ؛ ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له)

وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلايملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك محذورا)

وانما ذكر الله تعالى ذلك عنهم لأنهم يدعون الملائكة والأنبياء ويصورون صورهم ليشفعوا لهم فيما دعوهم فيه، وذلك بطرق مختلفة.

(ففرقة) قالت ليس لنا اهلية مباشرة دعاء الله ورجائه، بلا واسطة تقربنا اليه وتشفع لنا لعظمته.

(وفرقة) قالت الأنبياء والملائكة لهم وجاهة ومنزلة عند الله فاتخذوا صورهم من اجل حبهم لهم ليقربوهم الى الله زلفى.

(وفرقة) جعلتهم قبلة في دعائهم وعبادتهم.

(وفرقة) اعتقدت ان لكل صورة مصورة على صورة الملائكة والانبياء وكيلاً موكلاً بأمر الله، فمن اقبل على دعائه ورجائه وتبتل اليه، قضى ذلك الوكيل ماطلب منه بأمر الله، وإلا اصابته نكبة بأمره تعالى.

فالمشرك انما يدعو غير الله بما لايقدر عليه الا هو تعالى ويلتجيء اليه، فيه ويرجوه منه بما يحصل له في زعمه من النفع، وهو لايكون الا فيمن وجدت فيه خصلة من أربع:

اما ان يكون مالكا لما يريد منه داعيه. فإن لم يكن مالكا كان معيناً، فان لم يكن كان ظهيرا، فان لم يكن كان شفيعاً.

فنفى لله سبحانه وتعالى هذه المراتب الأربع عن غيره، الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة التي لأجلها وقعت العداوة والمخاصمة

بالآية المتقــدمة وبقوله (وقل الحمد لله الذي لم يتخــذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك) الآية ،

(وقوله قل اللهم مالك الملك) .

(وقوله لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) .

وقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله)

وقوله (مالك يوم الدين) .

وقوله (وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا . (يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) .

وأثبت سبحانه وتعالى مالا نصيب فيه لمشرك البتة، وهي الشفاعة باذنه لمن رضي عنه، وهو سبحانه يعلم السر وأخفى، لايخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ،

لهذا لما قالت الصحابة رضي الله عنهم : أربنا قريب فنناجيه؟ ام بعيد فنناديه ؟ أنزل الله سبحانه (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان) الآية .

وقال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون)

فصـــل

الموحد من اجتمع قلبه ولسانه على الله مخلصاً له تعالى الالوهية المقتضية لعبادته في محبته وخوفه ورجائه ودعائه ، والاستعانة به ، والتوكل عليه، وحصر الدعاء بما لا يقدر على جلبه او دفعه الا الله وحده، والموالاة في ذلك، والمعادة فيه، وامثال هذا ناظراً الى حق الخالق والمخلوق من الأنبياء والأولياء مميزاً بين الحقين .

وذلك واجب في علم القلب ، وشهادته ، وذكره ، ومعرفته ومحبته ، وموالاته ، وطاعته وهذا من تحقيق (لا اله الا الله) لان معنى (الإلـه) عند الاولين ماتألهه القلوب بالمحبـة، والتعظيم، والاجلال ، والخضوع ، ونحو ذلك مما لايكون إلا لله .

قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله) (تالله ان كنـــا لفي ضـــلال مبين . اذ نسويكم رب العالمين) .

وهم ما سووهم به لا في الصفات ، ولا في الذات ، ولا في الافعال ، كما حكى الله عنهم فى الايات ،

والشاهد لله بانه لا اله الا هو ، وقائلها نافيـــاً قلبه ولسانه لألوهية كل ماسواه من الخلق، ومثبتاً به الالوهية لمستحقها وهو الله

المعبود بالحق ، فيكون معرضاً عن الوهية جميع المخلوقات لا ينالهم بما لا يقدر عليه الا الله ، مقبلا على عبادة رب الارض والسموات

وذلك يتضمن اجتماع القلب في عبادته ومعاملته على الله ومفارقته في ذلك كل ماسواه ، فيكون مفرقا في عمله ، وقصده، وشهادته ، وارادته ، ومعرفته ، ومحبتـه بين الخالق والمخلوق، بحيث يكون عالماً بالله، ذاكراً، له عارفاً به؛ وأنه تعالى مباين لخلقه، منفرد عنهم بعبادته ، وأفعاله؛ وصفاته؛ فيكون محباً فيه ؛ مستعيناً به لا بغيره، متوكلا عليه لا على غيره .

وهذا المقام هو المعني في (إياك نعبد واياك نستعين) وهو من خصائص الألوهية التي يشهد له بها تعالى عباده المؤمنون ،

كما ان رحمته لعبيده، وهدايته اياهم وخلقه السموات والارض وما بينهما ومافيهما من الايات ، من خصائص الربوبية التي يشترك في معرفتها المؤمن والكافر ؛ والبر والفاجر ؛ حتى ابليس عليه اللعنة معترف بها في قوله تعالى (رب انظرني الى يوم يبعثون)

وقوله (بما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين)

وأمثال هذا الخطاب الذي يعرف بأنه ربه وخالقه ومليكه ، وان ملكوت كل شيء في يده تعالى وتقدس ؛ وانما كفر بعناده وتكبره عن الحق وطعنه فيه وزعمه انه فيما ادعاه وقاله محق .

وكذلك المشركون الأولون يعرفون ربوبيته تعالى ، وهم له بها يعترفون، قال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله) وقال (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولون الله) وقال تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون)

فمن دعا غيره تعالى لم يكن مخلصاً، وقال تعالى (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله) وقال تعالى (واتل عليهم نبأ ابراهيم ، اذ قال لابيه وقومه ماتعبدون ؟ قالو نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم اذ تدعون. أو ينفعونكم أو يضرون؟ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) والآيات في هذا الباب كثيرة جداً.

وروى الامام أحمد في مسنده والترمذي من حديث حصين بن المنذر أن رسول ﷺ قال (ياحصين كم تعبد ؟ قال ستة في الارض وواحد في السماء قال: فمن ذا الذي تعد لرغبتك؟ قال الذي في السماء . فقال له رسول الله ﷺ (أسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن) فاسلم فقال له قل (اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي) . (١)

---

١) ورواه الترمذي في الدعوات عن عمران بن حصين بلفظ ابسط من هذا

فمجرد معرفتهم بربوبيته تعالى واعترافهم بها لم تنفعهم ولم تدخلهم في الاسلام لما جعلوا مع الله آلهة أخرى يدعونها ويرجونها لتقربهم إلى الله زلفى ولتشفع لهم عنده ، فبذلك كانوا مشركين في عبادته ومعاملته .

ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم : لا شريك لك ، الا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك .

والمقصود :

من الادلة السابقة ، ومما يأتي أن يفهم القارىء أن الدعاء هو العبادة

روى النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ان الدعاء هو العبادة ــ

وفي رواية ــ مخ العبادة » ثم قرأ رسول الله ﷺ (وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) الاية رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح ، ورواه ايضا النسائي ، وابن ماجه والحاكم والامام احمد وابن ابي شيبة بهذا اللفظ .

وهذه الصيغة تفيد حصر الدعاء على العبادة فلايخرج عنها الانها من الصفات اللازمة التي ليس لها مفهوم يخالف الظاهر كقوله تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) اذ كل مدعو فهو إله قصد الداعي ان يكون مدعوه إلاهاً أم لا ، اتخذه المشركون الأولون أم لا ، وليس ثم دعاء لله آخر له برهان .

فصـــــل

يوضح ماقدمنا ان الله سبحانه وتعالى وصف دين المشركين بقوله (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الاليقربونا إلى الله زلفى) الاية : فبين في هذه الاية أن قصدهم الشفاعة .

وفي صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ أي الذنب اعظم؟ قال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال فقلت ثم أي قال » أن تقتل ولدك خشية ان يطعم معك » قال قلت ثم أي ؟ قال « ان تزاني بحليلة جارك » فانزل الله تصديقها « والذين لايدعون مع الله الهاً آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون » الاية .

فبين النبي ﷺ أن اعظم الذنوب الشرك بالله الذي هو جعل الانداد واتخاذهم من خلقه ليقربوهم اليه .

وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ان الله يرضي لكم ثلاثا : ان تعبدوه ولا تشركو به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وان تناصحوا من ولاه الله أمركم .

فدين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه .

فصـــــل

والشرك شركان .

أكبر وله أنواع ، ومنه الذي تقدم بيانه آنفاً . وشرك أصغر كالريا والسمعة ، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه .

ومنه الحلف بغير الله لما روى ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ (من حلف بغير الله فقد أشرك) أخرجه الامام احمد وأبو داود والترمذي والحاكم وصححه ابن حبان .

وقال ﷺ (ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت) أخرجه الشيخان .

وروى الامام أحمد وابو داود من حديث ابن عمر رضي عنهما عن النبي ﷺ انه قال له رجل ما شاء الله وشئت قال (اجعلتني لله نداً ؟ قل ماشاء الله وحده) والشرك الاصغر لايخرج عن الملة ، وتجب التوبة منه ومن كل ذنب .

فصـــــل

فلم يبق الا التوسل بالاعمال الصالحة كتوسل المؤمنين بايمانهم في قولهم (ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان ..)

وكتوسل أصحاب الصخرة المنطبقة عليهم وهم ثلاثة نفر توسلوا الى الله بالاعمال الصالحة . والحديث في صحيح البخاري .

والله سبحانه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله .

وكسؤال الله بأسمائه الحسنى قال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) .

وكالأدعية المأثورة في السنن (اللهم اني أسألك بان لك الحمد لا إله الا أنت الحنان المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام) وامثال ذلك ، وهذا معنى قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) .

والوسيلة القرب التي يتقرب بها الى الله وتقرب فاعلها منه ، وهى الاعمال الصالحة لما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال (قال الله من عادلي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشيء أحب الي مما افترضت عليه؛ ومايزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتي أحبه،

فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) الحديث .

ولهذا كان رسول الله ﷺ اذا أهمه أمر فزع الى الصلاة لأنها أعظم القرب الى الله تعالى، قال الله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة)

واما التوسل بمخلوق وجعله وساطة بين الله وبين عبده، فهو عين ما نهى الله عنه في الآيات، وانزل بقبحه الكتب وارسل الرسل: وهي ماقالت بنوا اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) كان قصدهم يتقربون به :

فصـــــل

وأما الاقسام على الله بمخلوق فهو منهى عنه باتفاق العلماء ، وهل هو منهي عنه نهى تنزيه أو تحريم؟ على قولين «أصحهما» أنــه كراهة تحــريم ، واختاره العز بن عبد السلام في فتاويــه . قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول: قال أبو حنيفة رحمهما الله لا ينبغي لأحد أن يدعو الله الا به، وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك، أو بحق خلقك، وهو قول ابي يوسف. قال ابو يوسف بمعاقد العز من عرشك هو الله فلا أكره هذا، وأكره بحق فلان ، وبحق انبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام .

قال القدوري رحمه الله : المسألة بحق المخلوق لا تجوز لهذا فلا يقول: أسألك بفلان وبملائكتك وأنبيائك ونحو ذلك؛ لأنه لا حق للمخلوق على الخالق ، انتهــى .

وأما قوله (وبحق السائلين عليك) ففيه عطية العوفي وفيه ضعف ، ومع صحته فمعناه بأعمالهم لأن حقه تعالى عليهم طاعته وحقهم عليه الثواب والاجابة، وهو تعالى وعد أن يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله « ١ »

«١» هذا الجواب يشير الى كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في التوسل والوسيلة في كلامه على هذا الحديث وقد اطال رحمه الله ـ

وإذا والى العبد ربه وحده أقام الله له وليا من الشفعاء، وهي الموالاة بينه وبين عباده المؤمنين فصاروا أولياءه في الله .

بخلاف من اتخذ مخلوقا من دون الله أو معه، فهـذا نـوع وذاك نوع آخر .

كما أن الشفاعة الشركية الباطلة نوع ، والشفاعة الحق الثابتة التي تنال بالتوحيد نوع آخر .

= وخلاصته : اما أن يكون حقهم الاجابة والاثابة فيكون من التوسل بأفعال الله ، وهو جائز .

واما ان يكون المراد بذلك الحق طاعتهم لله عز وجل فيكون من باب التوسل بعملهم فلا دليل فيه للتوسل الذي يقصدونه هم:

فصـــل

ومما استدل به علينا الخصم وزعم أن دعوة غير الله وسيلة قوله (اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللهم شفعه في) رواه الترمذي والحاكم وابن ماجه عن عمران بن حصين، فجوابه من وجوه.

(الاول) إنه في غير محل النزاع اذ ليس فيه سؤال النبي ﷺ نفسه، وانما فيه سؤال الله وحده أن يشفع فيه نبيه.

فأين هذا من عمارة القبور والقاء الستور عليها وتسريجها التي وردت النصوص الصريحة الصحيحة في تحريمه.

كما في الصحيحين أنه ﷺ لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج، وهذه كلها كبائر كما قال أهل العلم حتى ابن حجر الهيتمي وغيره حدوها ماأتبع بلعنة أو غضب أو نار.

والأحاديث في تحريم عمارة القبور كثيرة في الصحيحين وغيرهما وارتكاب الكبائر والبقاء على القبور ونحوه جنى على الامة أعظم الهلاء من دعاء اصحابها ورجاءهم، والالتجاء اليهم، والنذر لهم، وكتب الرقاع لهم، وخطابهم يا سيدي افعل كذا وكذا، وبذ عبد اللات والعزى، والويل كل الويل عندهم لمن عاب وانكر عليهم.

ومن قارن بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وزيارتهـا ، وما كان عليه أصحابه ، وبين ما عليه الناس اليوم راي أحـدهما مضاداً للاخر ، مناقضاً له . فانا لله وانا اليه راجعون .

واذا كان سبب قول الله عز وجل (فلا تجعلوا لله أنداداً وانتم تعلمون) مجيء حبر من اليهود الى رسول الله ﷺ والمسلمين، وقوله : نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله أنداداً فتقـولون : ماشاء الله وشاء فلان. فقال رسول الله ﷺ « أما انه قـد قال حقـا » وأنزل الله « فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » وممن أخرج الحديث جلال الدين السيوطي في الدر المنثور في تفسيره .

وهؤلاء يحب أحدهم معتقده أكثر من حب الله، وان زعم أنه لايحبه كحبه ، فشواهد الحال تشهد عليه بذلك ، فانه يعظم القبر أعظم من بيت الله ، ويحلف بالله كاذبا ولا يحلف بمعتقده . فـلا جامع بين ما استدلوا به علينا وبين ما نهيناهم عنه .

(الثاني) ان الحديث دليل لنا أنه لا يدعي غير الله عز وجل، فان قوله (اللهم اني اسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة) سؤال لله عز وجل لا للمخلوق . وتوجه اليه بدعاء نبيـه بدليل ما يأتي بعد .

وقوله (يامحمد أني أتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه انقضي. اللهم شفعه في) معناه: أتوجه اليك بدعاء نبيك وشفاعته التي معناها في هذه الدار الدعاء ؛ ولهذا قال في تمام الحديث (اللهم شفعه في) أي استجب دعاءه ، وهذا متفق على جوازه، اذ الحي يطلب منه سائر مايقدر عليه .

أما الغائب والميت فلا يستغاث به ؛ ولا يطلب منه مالا يقدر عليه. قال الله تعالى (قل ان الامر كله لله) انما غايته طلب الدعاء من الحي، وقبول شفاعته عند الله عز وجل، وهو ﷺ انتقل من هذه الدار الى دار القرار بنص الكتاب والسنة واجماع الامة .

ولهذا استسقى أصحابه بعمه العباس بن عبد المطلب، وطلبوا منه أن يدعو لهم في الاستسقاء عام القحط، أخرجه البخاري عن أنس ابن مالك رضي الله عنه، ولم يأتوا الى قبره ولا وقفوا عنده مع ان حياته ﷺ في قبره برزخية .

والدعاء عبادة مبناها على التوقيف والاتباع. ولو كان هذا من العبادات لسنه الرسول، ولكان أصحابه أعلم بذلك وأتبع. ولهذا لم يفعله أحد من الصحابة ولا التابعين مع شدة احتياجهم وكثرة مدلهماتهم. وهم أعلم بمعاني كتاب الله وسنة رسوله وأحرص على اتباع ملته من غيرهم، بل كانوا ينهون عنه وعن الوقوف عند القبر للدعاء

عنده وهم من خير القرون التي نص عليها النبي ﷺ في « قوله خيركم قرني ثم الذين يلونهم » قال عمران : لا ادري أذكر اثنين او ثلاثاً بعد قرنه . اخرجه البخاري في صحيحه .

(الثالث) أنهم زعموا أنه دليل للوسيلة الى الله بغير محمد ﷺ وخرجوا عن محل النزاع الى شيء آخر، وهو التوسل بغير رسول الله ﷺ ولادليل فيه أصلا، لأنهم صرحوا بأنه لايقاس مع الفارق .

فلا يجوز لنا أن نقول: اللهم أنانسألك ونتوجه اليك برسولك نوح، يارسول الله يانوح .

ولا لنا ان نقول : انا نسألك ونتوجه اليك بخليلك ابراهيم ولا بكليمك موسى ، ولا بروحك عيسى ، مع ان الجامع في نوح عليه السلام الرسالة ، وفي ابراهيم عليه السلام الخلة مع الرسالة، وفي موسى عليه السلام الكلام مع الرسالة ، وفي عيسى روح الله وكلمته مع الرسالة، فليس لنا ان نقول هذا لأنه لم يرد، ولاحاجة لنا الى فعل شيء لم يرد .

والقياس انما يباح عند من يقول به للحاجة في حكم لايوجد فيه نص. فاذا وجد النص فلا يحل القياس عند من يقول به . ولا حاجة لنا الى قول مخترع يجر الى الشرك ، خصوصاً مع ماورد فيه ، وانه في هذه الامة أخفى من دبيب النمل ، وأن هذه الامة افترقت على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة ،

فالناجية من اتبع ماكان عليه ﷺ وأصحابه .

(الرابع) إن الوسيلة ليست هي أن ينادي العبد غير الله ، ويطلب حاجته التي لا يقدر على وجودها إلا الرب تبارك وتعالى ممن لايملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ،ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه .

فصـــــل

ومما استدل به علينا في جواز دعوة غير الله في المهمات قوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن مسعود « اذا انفلتت دابة احدكم في ارض فلاة فليناد ياعباد الله احبسوها » .

وفي رواية (اذا أعيت فلينادي ياعباد الله أعينوا » وهذا من جملة الجهل والضلال ، وإخراج المعاني عن مقاصدها من وجوه .

(الأول) أن هذه ليست بوسيلة أصلا ، إذ معنى الوسيلة مايتقرب به من الاعمال إلى الله عز وجل وهذا ليس بقربة .

(الثاني) أن الحديثين غير صحيحين .

أما الاول فرواه الطبراني في الكبير بسند منقطع عن عقبه رضي الله عنه ، وحديث انفلات الدابة عزاه النووي رحمه الله لا بن السني وفي اسناده معروف بن حسان ، قال ابن عدي هو منكر الحديث ولا دليل في هذين الحديثين مع ضعفهما ولا في الحديث المتقدم قبلهما على دعاء أصحاب القبور كعبد القادر الجيلاني من قطر شاسع ؛ بل ولا ينادي غيره لا الانبياء ، ولا الأولياء ، انما غايته أن الله عز وجل جعل من عباده من لا يعلمهم الا هو سبحانه (ومايعلم جنود ربك الا هو) واذا نادى شخصاً باسمه معيناً فقد كذب على رسول الله ﷺ

ونادى من لا يؤمر بندائه، وليس معنى الحديث في كل حركة وسكون وقيام وقعود، وانما أبيح له ذلك ان أراد عوناً على حمل متاعه أو انفلتت دابته، هذا مع تقدير صحة الحديث.

(الثالث) ان الله تعالى قال (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) فبعد ان اكمله بفضله ورحمته. لايحل أن نخترع فيه ماليس منه، ونقيس مالا يقاس عليه.

(الرابع) ان الحديث الصحيح اذا شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به، فانهم قالوا ان الحديث الصحيح الذي يعمل به اذا رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة؛ فكيف العمل بالحديث المتكلم فيه بمالا يدل عليه دلالة مطابقة؛ ولا تضمن، ولا التزام، فهذا هو البهتان.

(الخامس) انهم دعموا إجابتهم بذكر من يعتقدونه ونسبوا الافعال اليهم، وكل أحد يذكر ما وقع له من الاستغاثه بفلان وانه أنجده، وكشف شدته.

فاذا قال احد سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء؛ سبحانك هذا بهتان عظيم قاموا عليه وخرجوه؛ وقالوا معلوم أن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون: فاذا قال نعم ولكن ليس لأحد

منهم ملكوت خردلة والله يقول (ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم) يكون جواب من يدعي العلم والانصاف ان هذه الآية نزلت في عبادة الأصنام فيقال له (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)

ومن المكابرة أن يعمل شخص كعمل المشركين أو أشد ثم يقول أنا لست بمشرك؛ فلم يبق لهذه الزاعم ما يتشبث به الا قوله بان الأمة مطبقة على هذا ، والامة لا تجمع على ضلالة .

فيلزم تضليل الامة وتسفيه الآباء .

وجوابه ان هذا كذب على الامة ، وهذه كتب الحديث والتفسير كلها تنص على ان لا يجوز ان يدعي غير الله عز وجل بما لا يقدر عليه الا هو تعالى ولا يباح ، بل الايات البينات والاحاديث واقوال العلماء ترشد ان هذا شرك محقق والله تعالى يقول لرسوله ﷺ (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا) ويقول (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه) والاحاديث ونصوص العلماء لا تخالف الكتاب .

(السادس) أنهم اختلفوا في التوسل اليه بشيء من مخلوقاته

تعالى وتقدس هل هو مكروه أو حرام؛ والاشهر الحرمة كما قال به أبو محمد العز بن عبد السلام في فتاويه انه لايجوز التوسل اليه بشيء من مخلوقاته لا الانبياء ولا غيرهم ، ، توقف في حق نبينا محمد ﷺ هل فيه الحرمة أو الكراهة، وتقدم قول أبي حنيفه واصحابه رحمهم الله

(السابع) انهم يشترون أولادهم ممن يعتقدون فيه السر والبركة ويعبدونهم لهم ويبنون لهم الزوايا ويعمرونها بآلات الطرب واللهو ومطارق الحديد يضربون بها انفسهم ، ومن اولئك جماعة يعرفون بالعلوانية، والقادرية والرفاعية واشباههم؛ وهذه اسماء ما انزل الله بها من سلطان ،

والله قد سمانا المسلمين . قال الله تعالى (ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا) فاستبدلو الذي هو ادنى بالذي هو خير .

واذا مرض هذا المشتري من المعتقد نذر اهله له النذور ، ولم يزل يستغيث به ان يشفى سقمه ، ويكشف شدته ، وهذا الامر سرى في العلماء والجهال، فهم قد غلبت عليهم العوائد، وسلبت عقولهم عن فهم المراد والمقاصد ، من الكتاب والسنة ، وكلام الأئمة .

فصـــل

فبهذا يتبين ان الشيطان اللعين خدع اهـــل البدعـــة والجهل فنصبوا قبوراً يعظمونها ويعبدونها من دون الله ، ثم أوحى الى أوليائه ان من نهى عن عبادتها واتخاذها أعياداً فقد انتقصها حقها، فيسعى الجاهلون المشركون في قتالهم وعقوبتهم ،

وماذنبهم عند هؤلاء الا أنهم أمروهم باخلاص التوحيد ؛ ونهوهم عن الشرك بأنواعه وقالوا بتبطيله، فعند ذلك غضب اولئك المشركون، واشمأزت قلوبهم وقالوا قد انتقصوا اهل المقامات والرتب، فاستحقوا الويل والعتب؛ وزعموا أنا لانحترم الصالحين ولانحبهم حتى سرى ذلك في نفوس الجهال والطغام وكثير ممـــن ينتسب الى العلم والدين ، وبسبب ذلك عادونا ورمونا بالعظائم والجرائم، ونسبوا كل قبيح الينا ، ونفروا الناس عنا وعما ندعوا اليه، ووالوا اهل الشرك وظاهروهم علينا ، وزعموا أنهم أولياء الله وانصار دينه ورسوله وكذبوا وربي الله ذلك؛ فما كانوا اولياءه، إن أولياؤه الا المتقون ، الموافقون له ، العارفون بما جاء به، والعاملون به، والداعون اليه؛ لا المتشبعون بما لم يعطوا؛ اللابسون ثياب الزور، الذين يصدون الناس عن دين نبيهم وهديه وسنته؛ ويبغونها عوجا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .

وتعظيم الأنبياء والأولياء واحترامهم ومحبتهم متابعتهم فيما يحبونه ويأمرون به ، وتجنب مايكرهونه وما ينهون عنه .

قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) .

فأهل التوحيد اين كانوا أولى بهم وبمحبتهم ونصرة طريقهم وسنتهم وهديهم ومناهجهم ، وأولى بالحق قولا وعملا من هؤلاء المبتدعة الذين كانوا اهم أعصى الناس لهم وابعدهم عن هديهم ومتابعتهم وصنيعهم معهم كصنيع النصاري مع المسيح، وكاليهود مع موسى، والرافضة مع علي .

ومن أصغى الى كلام الله بكلية قلبه وتدبره وتفهمه أغناه عن اتباع الشياطين وشركهم الذي يصد عن ذكر الله وعن الصلاة وينبت النفاق في القلب .

وكذلك من أصغى اليه والى حديث الرسول واجتهد في اقتباس الهدى والعلم منها أغنياه عن البدع والشرك والآراء والترخصات والشطحات والخيالات التي هي وساوس الشيطان .

وكذلك من عمر قلبه بمحبة الله وخشيته والتوكل عليه أغناه أيضاً عن عشق الصور ، واذا خلا عن ذلك صار عبد هواه اي شيء استحسنه ملكه واستعبده .

فالمعرض عن التوحيد عابد للشيطان مشرك شاء ام ابى .

كما في صحيح مسلم عن ابي الهياج الأسدي واسمه حيان بن حصين قال : قال لي علي بن ابي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ ان لا ادع تمثالا إلا طمسته ولاقبراً مشرفاً الا سويته .

وفي الصحيح أيضاً عن ثمامة بن شفي الهمداني قال : كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوى فقال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها . وقد امر به وفعله الصحابة والتابعون والأئمه المجتهدون .

قال الشافعي في (الام) ورأيت الأئمـة بمكة يأمرون بهدم مايبنون على القبور . ويؤيد الهدم قوله (ولاقبراً مشرفاًإلا سويته) وحديث جابر الذي في صحيح مسلم نهى ﷺ عن البناء على القبور ولأنها أسست على معصية الرسول لنهيه عن البناء عليها وأمره بتسويتها

فبناء اسس على معصية الرسول ومخالفته بناء غير محترم وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعاً، واولى من هدم مسجد الضرار المأمور بهدمه شرعاً اذ المفسدة اعظم حماية للتوحيد والله المستعان وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على افضل المرسلين سيدنا ونبينا وعلى آله واصحابه اجمعين وسلام على المرسلين والحمدلله رب العالمين .

(خاتمـة الطبـع)

كانت « مؤسسة النور - للطباعة والتجليد » قدتفاءلت فبدات عملها بطبع رساله الأمام (عبد العزيز الأول) لما رات فيهـا من النور والحق الواضح في سبيل هداية الحق، فحقق الله لها فالها وسارت في طريق نير مستقيم ، في بث كتب الدعوة الى الله .

وقد نشرت من الرسائل والكتب كميات كبيرة ، وهي سائرة بعونة الله في هذا المضمار ، ومن ذلك اعادة طبع هذه الرسالة باخراج وتعليق وتصحيح حسب الاستطاعة . وقد ساعد على تصحيح هذه الطبعة نسخة خطية وجدناهافي (مكتبتنا الصالحية) في بلدة(عنيزة)

كما وجدنا منظومة للشيخ محمدبن احمدالحفظي الموجهة الىالامام (عبد العزيز واهل الدرعية)فرايناالحاقهابهذهالطبعةونصهاكمايلي

هذه منظومة يسرها الله تعالى على لسان الفقير الى الله محمدبن احمد الحفظي ، وهي معروضة على الاخوانفيالله الاحباب لأجل الله

امير المسلمين « عبد العزيز بن محمد بن سعود » والعلماء العاملين « حسين بن محمد . وعبد الله بن محمد . ومن لديهم من العلماء والاخوان المؤمنين » .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وفي للتيسير لأبن الربيع ان اعرابيا قال لابن الزبير ان الامام

سوق فان كان من اهل الحق جلب اليه اهل الحق نحتهم ، او كان من اهل الباطل جلب اليه اهل الباطل باطلهم انتهى

فلما كان المشرب مشربهم والمذهب مذهبهم ، أردت جلبها اليهم وادخال السرور بها عليهم . معاونة على الدعوة ، واقراراً بالاذعان والقبول لمادعي اليه كل صفوة . ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والهداية والعصمة . والله هو الغني الحميد .

ان النجائب سارت في مساريها ... وقد حدا من الركبان حاديها
وكل سار وسيار له أرب ... ونية في صميم القلب ينويها
وغاية السعي لحكيه بدايته ... ان العوالى على تأسيس بانيها
والشرط ان صلح المنوى موافقة ... الشرع الشريف وما قدسن هاديها
ومن هذا افترقت دنيا وآخرة ... كل البرايا على تدبير باريها
فانظر مواردهم تعرف مصادرهم ... وخذ قياسك تعليلا وتشبيها
واعجب من الخلق فضلا من تخالفهم ... فللمقالات افعال تنافيها
والامر لله والاكوان قبضته ... وقد احاط بباديها وخافيها
وكل ماكان في الاكوان كونه ... وشاءه وقضى فيها بما فيها
وكلها حكم والحمد غايتها ... ولو تعامت ولم تدرك معانيها
والخير والشر قد جف المداد بها ... وباختيارك والتقدير تأتيها
وحجة الله في الأقدار بالغة ... ونسبة الشر للأنسان تنزيها
والعبد عبد ولاتذهب عبودته ... ولو تحلى بعاليها وغاليها
والرب رب ولاشيء يماثله ... فلاتكيف واعط القوس باريها

ولا تنازع صلمات لله قاطبـة جهالة منك او كبراً وتسفيهـا
ان الذباب قد استولى عليك ومن ماء المبـالين ركبت لتبيهـا
فاجنح الى الله وارم الكون اجمعه وقف على الباب تشريفا وتنويها
ووحـدن بأنـواع العبادة لا تشرك بربك مخـلوقـا انه فيها

وافهم خطاب كتاب الله واهن به عن صحف موسى وانجيل محاذيها
فليس فيهـا الذي فيـه وان له فضلا عليها وقد اوعى لما فيها
واتبع أوامـره واترك زواجـره وزد عناية لـرك عن معانيهـا
وغص الى الافكـار مفتكـرا مافي المثال من الاشكال يحكيها
وهبك انت الذي فيه الخطاب وطف بالسر في الحجب العليا وبانيهـا
وهـذه قسـم والله يقسمها لمن يشأ فسـل مولاك يعطيهـا
واستنطق الذكر واستفتح فوائده بسنة المصطفى تظهر معانيهـا
خصوصاً الأمهات الست إن لها ضبطاً وشرطاً واوصافاً لراويها
فالزم محاضرها واحضر مسامرها واصعد معاريج قاريها ومقريها
واســأل عن العلماء العاملين بها والتابعين معانيهـا وما فيهـا
واقرأ سلامي عليهم كل شارقة وخصهـم بتحيات احييهـا
وان طائفـة منهـم معظمـة حلوا (بدرعية)سقيا لثاويهـا
دعوا الى الله في سر وفي علـن ومكنو درج التقوى لراقيهـا
وجددوا طرقاً للحق دارسـة ونبهوا على التوحيـد تنبيهـا
وكم اعادوا وأبدوا فيه من نكت مع الدليـل المثنى في دعاويهـا
فقـل لمنكر ما قالوا يناظرهـم بالعلم في ثغرة المرمى وراميهـا
والرجم بالغيب والبهتان منقصة والرد للحق من أخزى مخازيهـا

وان تر زلـة في تابـع لهموا فلا تعير بهـا من ليس ياليهـا
ولا تقلـد بغيض ا شانما لهمو ان الشهـادة رد من اعاديهـا
ودر مع الحق اياما تجده وجد بطاعـة الله ان نادى مناديهـا
والحمد لله حمداً لا انتهـاء له فتحا وختما وتمجيداً وتنويهـا
واشهد الله خير الشاهدين على حب طريق الهدى مع حب اهلبها

تمت ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة، ولاحول ولاقوة الا بالله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل؛ على يد كاتبها علي بن ناصر ابو وادي غفر الله له ولوالديه واخوانه المسلمين، ٢٥ ج ـ ١ ـ ١٣٠١

صفحة